K-19
Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İzâfet Mahsûs Damgası

أربعة كتب
في
التصحيح اللغوي

إصلاح غلط المحدثين - للخطابي ، المتوفى سنة ٣٨٨هـ
غلط الضعفاء من الفقهاء - لابن بري ، المتوفى سنة ٥٨٢هـ
سهم الألحاظ في وهم الألفاظ - لابن الحنبلي ، المتوفى سنة ٩٧١هـ
خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام - لابن بالي ، المتوفى سنة ٩٩٢هـ

تحقيق
الدكتور حاتم صالح الضامن
كلية الآداب - جامعة بغداد

عالم الكتب
مكتبة النهضة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب
بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيًا : نابعلبكي - تلكس : ٢٢٣٩٠

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

كانت اللغة العربية ـ وما زالت ـ موضع عناية العلماء على مر الازمان وتتابع القرون لأنها لغة القرآن الكريم، قال تعالى ﴿**انا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿**وكذلك انزلناه قرآناً عربياً**. . .﴾[٢].

وقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش التي كانت لغة الادب عند جميع القبائل العربية قبل نزول القرآن الكريم، فازدادت ضبطاً وإحكاماً وغزرت مادتها واتسعت اغراضها وارتقت أساليبها.

وبفضل القرآن الكريم ظلت اللغة العربية الفصيحة لغة الأدب والكتابة حتى يومنا هذا، وستبقى ما دام هناك قرآن يتلى، وقد كفل الله تعالى له الحفظ فقال عز وجل: ﴿**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾[٣].

وكانت هناك مع هذه اللغة الفصيحة المشتركة لهجات محلية تستخدم في الشؤون العادية ويجري بها الحديث اليومي، ولم تتغافل كتب اللغة عن هذه اللهجات وعن تقييد خصائصها، فهي تحدثنا عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وعجرفية ضبة، وفحفحة هذيل، وعجعجة قضاعة، وتلتلة بهراء.

فاللغة الاولى الفصيحة، وهي لغة القرآن الكريم، كانت تخضع لقوانين تضبطها وتحكم عبارتها.

واللغة الثانية المتمثلة في اللهجات المحلية، وهي العامية، لا تخضع لمثل هذه القوانين، لأنها متغيرة تبعاً لتغير الاجيال وتغير الظروف المحيطة بها.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف: الاية ٢.
(٢) المصدر نفسه، سورة طه: الاية ١١٣.
(٣) المصدر نفسه، سورة الحِجْر: الاية ٩.

ووجود هذه اللغة المحلية بجانب اللغة الفصيحة ظاهرة طبيعية في كل اللغات، فليس وجودها إذن في اللغة العربية بالامر الشاذ.

وحينما انتشر الإسلام وامتدت فتوحاته ازداد اختلاف لهجات المحادثة بسبب اختلاط العرب بالأعاجم، فظهر اللحن، وهو الخطأ في كلام الموالي منذ عهد النبي (ص). فقد روي أن رجلاً لحن بحضرته فقال: «ارشدوا اخاكم فقد ضل»، وقال (ص): «انا من قريش ونشأت في بني سعد فأنّى لي اللحن؟».

وذكر الفرّاء في كتابه معاني القرآن: «ان اول لحن سمع بالعراق: (هذه عصاتي) بدلاً من (هذه عصاي).

وكان عبد الله بن عمر يضرب بنيه على اللحن.

وكان عبد الملك بن مروان حريصاً على الحفاظ على سلامة اللغة العربية وتنقيتها من اللحن الذي بدأ يجري على ألسنة الناس، فقد أسف أسفاً شديداً لظهور اللحن على لسان ابنه الوليد، وقال: «اضر بالوليد حبنا له فلم نرسله إلى البادية». وروي عنه أنه قال: «الإعراب جمال للوضيع واللحن هجنة للشريف». وقال أيضاً: «اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب، والجدري في الوجه».

وقيل له يوماً: «لقد اسرع إليك الشيب، قال: شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن».

وقال الخليفة عمر بن عبد العزيز: «ان الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأردّه عنها، وكأني اقضم حب الرمان الحامض لبغضي استماع اللحن، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها التذاذاً لما اسمع من كلامه». وقال أيضاً: «أكاد اضرس إذا سمعت اللحن».

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يحرص على اللغة الفصيحة ويلزم بها المتصلين به.

كل هذه الاخبار تظهر لنا اهتمام الحريصين على لغة القرآن الكريم بسلامتها وتنقيتها من اللحن والعامي والدخيل.

وجاء العصر العباسي فكانت هناك حركة لغوية دائبة اهتمت بجمع ما شاع على ألسنة الناس من كلام يخالف سنن الكلام العربي الفصيح خشية امتداد خطره إلى اللغة الادبية المشتركة، فانبرى العلماء للذب عن هذه اللغة الشريفة فألّفوا كتباً كثيرة كان لها

أثر كبير في صيانة اللغة وتنقيتها من اللحن والعامي والدخيل فذكرت الخطأ المستعمل والصواب الذي يجب أن يجري به الاستعمال.

وكانت هذه الكتب تهدف إلى خدمة اللغة الفصيحة عن طريق تقويم ألسنة العامة وتصحيح أخطائهم واطلق على هذا اللون من التأليف اسم (لحن العامة)، وسميت كتب أخرى من هذا التأليف باسماء تلائم الغرض منها، فمن هذه الاسماء: اصلاح المنطق، تثقيف اللسان، تقويم اللسان، تصحيح التصحيف، وتحرير التحريف، الجمانة في إزالة الرَّطانة، التنبيه على غلط الجاهل والنبيه. . . . الخ.

وما من شك في ان تشدد اللغويين في رقابتهم كان ضرورياً لكبح جماح الخارجين على اللغة الفصيحة، وقد كان هؤلاء اللغويون يمثلون التيار المحافظ الذي لم يكن منه بد لحماية أصالة اللغة العربية والحفاظ على سلامتها.

وقد كان أعداء العرب ينتقصون من اللغة الفصيحة ويدعون إلى تبني اللهجات العامية، وقد ارتبطت هذه الدعوة في القديم بدعاوى الشعوبية وأعداء العروبة، وحديثاً بالاستعمار واعوانه.

أما في القديم فقد روى لنا القلقشندي المتوفى سنة احدى وعشرين وثمانمائة[1]، قصة رجل شعوبي كان يدعى ابن مخيمرة دأب منذ أكثر من الف عام على مهاجمة اللغة الفصيحة والحطمن شأنها، وكان يردد دائماً قوله: «النحو اوله شغل وآخره بغي»، فانبرى له أبو جعفر النّحاس المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ورد عليه قائلاً: «وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمي العربية ـ جهلاً وتعدياً ـ حتى أنهم يحتجون بما يزعمون ان القاسم بن مخيمرة قال: «النحو أوله شغل وآخره بغي» وهذا كلام لا معنى له، لأن أول الفقه شغل وأول الحساب شغل وكذلك أوائل العلوم، أفترى الناس تاركين العلوم من أجل ان أولها شغل».

وكان البرامكة يريدون إعادة مجد فارس فشجعوا كثيراً من الكتاب على تأليف كتب في ذكر مثالب العرب، وبدأ قسم من الشعراء كأبي نواس وبشار بن برد والخريمي ومهيار الديلمي وغيرهم ينتقصون من العرب. وكان الهدف تقويض الكيان العربي بالنيل من لغته أولاً، والقضاء على وحدته المتمثلة في هذه اللغة. وقد خاب أملهم وبقيت اللغة العربية الفصيحة لغة الكتابة الادبية المشتركة.

(١) أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا (مصورة عن الطبعة الأميرية).

أما في العصر الحديث فقد ارتبطت مشكلة العامية والفصيحة بالوجود الاستعماري في وطننا العربي على الرغم من أنها في أصلها ظاهرة طبيعية في حياتنا اللغوية كما سلف. ولكن الاستعمار استغل هذه الظاهرة ليحارب اللغة الفصيحة بلهجاتها المتعددة، ووجد في اختلاف اللهجات الاقليمية ذريعة للقضاء على اللغة المشتركة بعد ان انحدرت اللغة العربية إلى غاية الضعف إبّان الحكم التركي الذي فرض اللغة التركية لغة رسمية للدواوين والتعليم.

وقد مهد الاستعمار لمحاربة اللغة الفصيحة بأن ادخل تدريس اللهجات العربية المحلية في جامعاته، بل وانشأ مدارس خاصة لدراسة هذه اللهجات مستعيناً في ذلك بالشرقيين الذين كانوا يعملون في بلاده وبالمستشرقين الذين كانت لهم معرفة باللهجات العربية المحلية.

ففي ايطاليا درست العامية في مدرسة نابولي للدروس الشرقية التي انشئت سنة ١٧٢٧.

وفي النمسا انشئت مدرسة القناصل في فيينا سنة ١٧٥٤ لأنها كانت تعلم القناصل لغات الشرق، ومنها العربية، مهتمة بلهجاتها العامية، ثم اسست سنة ١٨٥١ م مدرسة للهجات الشرقية.

وفي فرنسا درست اللهجات العربية العامية في مدرسة باريس للغات الشرقية الحية التي انشئت سنة ١٧٥٩.

وفي روسيا انشئت مدرسة لازارف للغات الشرقية في مدينة موسكو سنة ١٨١٤، وكانت تدرس العربية ولغات الشرق الاخرى، وفي عام ١٩٠٩ خصصت فرعاً لها لتدريس العربية ولهجاتها العامية.

وفي المانيا انشىء مكتب كبير في برلين لتدريس اللغات الشرقية ومنها العربية ولهجاتها المحلية.

وفي المجر انشئت سنة ١٨٩١ الكلية الملكية لعلوم الاقتصاد الشرقية وتدريس اللهجات، ومنها العربية.

وفي بريطانيا انشأت جامعة لندن في أوائل القرن التاسع عشر فرعاً فيها لتدريس العربية الفصيحة والعامية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد كثرت عندهم المؤلفات الخاصة باللهجات

العامية نتيجة اهتمامهم بادخال تدريس اللهجات العربية العامية في مدارسهم وجامعاتهم، ومن هذه المؤلفات:

١ ـ لهجة بغداد العامية: لـ (ماسنيون).
٢ ـ لغة بيروت العامية: لـ (امانويل ماتسون).
٣ ـ لغة مراكش العامية وقواعدها: لـ (ابن سميل).
٤ ـ قواعد العامية الشرقية والمغربية: لـ (كوسان دوبرسفال).
٥ ـ عامية دمشق: لـ (برغستراسر).
٦ ـ قواعد العربية العامية في مصر: لـ (ولهم سبيتا).
٧ ـ اللهجة العربية الحديثة في مصر: لـ (كارل فولرس).
٨ ـ العربية المحكية في مصر: لـ (سلدن ولمور).
٩ ـ المقتضب في عربية مصر: ـ (فيلوت وباول).

هذه نظرة سريعة عن اهتمامهم باللهجات العامية، وهذا الاهتمام لم يكن من أجل البحث العلمي كما كانوا يزعمون، ولا من أجل حاجتهم إلى معرفة لهجات البلاد العربية التي تقتضي مصالحهم ان يعيشوا فيها ويتعاملوا مع أهلها، وإنما من أجل القضاء على العربية الفصيحة واحلال العامية محلها ليتسنى لهم التفاهم بها في مستعمراتهم واستغلالها في التجسس والاتصال بالعامة.

ثمة أمر آخر له أهمية كبيرة وهو الدعوة إلى التحرر من الاعراب، والاستغناء عنه بتسكين أواخر الكلمات.

والاعراب من أهم مميزات اللغة العربية، وهو الابانة والافصاح وهو مأخوذ من: اعرب عن الشيء إذا أوضحه وأبان عنه.

ولما كانت العربية لغة تتوخى الايضاح والابانة كان الإعراب احدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية، فلا يستطاع التمييز بين النفي والتعجب والاستفهام، إلا بالإعراب لأن الصيغة فيها جميعاً واحدة.

وهل يمكن بغير الضبط الاعرابي فهم المعنى المراد من قولنا: (لا تأكل وتتكلم)، أهو النهي المطلق عن الفعلين وهذا يقضي جزم الفعلين؟ أم النهي عن الاول وحده مع إباحة الثاني، وهذا يقتضي جزم الاول ورفع الثاني؟ أم النهي عن اقترانهما معاً مع إباحة كل منهما وحده على انفراد، وهذا يقتضي جزم الاول ونصب الثاني؟

وكيف نعامل أواخر الكلمات التي لا تعرب بحركات اعرابية في آخرها، وإنما تعرب بحروف كل حرف يرمز لمعنى خاص يخالف ما يرمز إليه الآخر كالاسماء الستة والافعال الخمسة والمثنى وجمع المذكر السالم؟

وكيف يتضح مدلول الضمير (انت ـ لك) بغير الحركة التي تبين نوعه ودلالته على المؤنث أو المذكر؟

فالاعراب، إذن مطلب العقل في اللغة، وهو أرقى ما وصلت إليه اللغات في الابانة والوضوح، وقد بلغت العربية الفصيحة هذه المرتبة ولا يشاركها في من اللغات القديمة إلا اليونانية واللاتينية، أما اللغات الأرية الحديثة ـ وتشمل معظم لغات اوروبا ـ فقد خلت من حالات الاعراب ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والخفض، وإنما يقوم مقامها إلحاق أدوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر أو بتقديم الالفاظ وتأخيرها.

ومن المؤسف حقاً أن يقف قسم من الادباء والمفكرين العرب وراء هذه الحملات المسعورة فيدعون إلى إحلال العامية والابتعاد عن الفصحى بسبب جمودها وصعوبتها وبداوتها وتخلفها عن حاجة العصر، ولأن العامية ـ في زعمهم ـ تمتاز بالسهولة والمرونة والقدرة على التعبير عن مطالب الحياة العصرية.

ان هذه الدعوات المشبوهة التي تبناها سلامة موسى وأنيس فريحة لم يكتب لها النجاح.

نخلص من كل ما قدمنا إلى أن تبني العامية واستخدام اللهجات المحلية في ميدان الكتابة والتأليف وفي وسائل الاعلام سيكون أكبر عامل في تقطيع أوصال الأمة العربية والتمهيد للعزلة بين أبنائها.

ويدل على ذلك أننا نحن العراقيين كنا حينما نسافر إلى دولة أجنبية فيها عرب من جنسيات أخرى نجد صعوبة في التفاهم معهم بلهجاتنا العامية، فإذا ما قضي على الفصيحة كما يتمنى أعداء العروبة فإن وسيلة التفاهم ستكون اللغة الاجنبية، وهذا هو هدف الاستعمار: احلال لغاته محل العربية.

ولا بد هنا من الإشارة إلى قرار منصف اصدره المستشرقون في مؤتمر لهم عقد ببلاد اليونان، جاء في القرار: «ان اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الإسلامية والعربية للتخاطب والكتابة والتأليف وان من واجب الحكومات في هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضي على اللهجات العامية التي لا تصلح لغة

أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق».

* * *

لكل هذا وحفاظاً على سلامة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، أقدمنا على نشر كتب التصحيح اللغوي الأربعة التي بين يديك، وستتبعها أخرى إن شاء الله تعالى.

وأرجو أن يكون لجهدي هذا بعض النفع، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.